يتيماً بعض الشيء

علي أكبر جواد



يتيماً بعض الشيء

الكتاب : يتيمًا بعض الشيء
المؤلف : علي أكبر جواد
الطبعة الثانية : ٢٠٢١
تصميم الغلاف : شروق سمير
التنسيق الداخلي : عذراء البياتي
التدقيق والتنقيح اللغوي: مريم حامد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد لسنة ٢٠٢١
ISBN : ٩٧٨-٩٩٢٢-٩٥٨١-٨-٧



لمراسلة الدار: lizstomaniahome@gmail.com
الموقع : البصرة - القُبلة
الهاتف: ٠٠٩٦٤٧٧٤٠٧٣٣٩٧٠

يتيماً بعض الشيء

تأليف علي أكبر جواد



الإهداء

إلى الرب،

أعني قوتي،

أعني أبي،

أعني أمي.

سأرد قصيدتي الأبدية (أمي)

صرخة أبدية

في أعماقي حفرةٌ عميقة،

في الحفرةِ صدى

يُرددُ آه للأبد...

يُسمع صوته،

يُسمع صوته

ولو دثرتموهُ بكل البحار.

الخطة البديلة

هناك من وضع خطتين،

أصلية وبديلة،

أنتِ كنتِ خطةٌ أصلية، وأنا كنتُ البديلة.

كانت الخطة الأصلية تقتضي معرفتكِ،

ولما فشلوا فيها، اتجهوا إلى الخطة البديلة:

حزني الأبدي عليكِ.

حب يبتكرُ أخطاء

لفرط ما كنت أحب أمي ولم أخطأ في حقها،
صرتُ أبتكرُ في خيالي أشياء تجعلني مذنبًا
تجاهها؛
فقط لكي أشعرُ ولو لمرةٍ واحدةٍ أنني منكسرٌ
أمامها...
حتى أنني إبتكرتُ شيئًا جديدًا،
حيث صرت أندم على كل الأيام التي لم أكن فيها معها،
تلك التي لم تأتي بعد...

كل شيء مائل

السماء مائلة،

الأرض مائلة،

الأشجار مائلة،

النجوم مائلة،

الأيام مائلة،

العصافير تطير مائلة، الأنهار تجري مائلة،

أرى كل الأشياء مائلة،

حتى قبركِ الذي أقف أمامه الآن مائل...

أنا لست كاذب، ولا مجنون،

كل ما في الأمر، أن رأسي ما زالَ على كتفكِ...

أنشودة الانحناء الأبدي

تخرجُ من المقبرة عصافيرٌ مشلولة بالحزن، تسير ولا تطير،

تئنُ ولا تغرّد، كسا أجنحتها الغبار...

يمكنك أن تتخيل كم هو مرعب أن ترى موجٌ من العصافير تزحفُ في التراب خارجة من المقبرة، وهي تئُن...

لم يكن نبعُ هذه العصافير سوى من شجرةٍ مغروسةٍ بعمق

في عنق الطفل المنحني للأبد أمام قبر أمه...

بستانٌ من الصمت

دخلت في بستان من الصمت

أبحث عن كلمة،

وجدت أغنية،

فتحتها، وجدت فيها أطفالًا، يرمون أحجارًا لها

لون اليأس على شخص جالس على ضفة نهر،

لكنه لا يلتفت ولا يشعر وكانت الأغنية تردد:

"إذا رميتم يتيمًا بحجارة،

فلا يدري ماذا أصاب من جسده."

ثم سرت فوجدت شجرة،

يجلس تحتها طفل،

تتدلى منها عصافير يعلو أجنحتها التعب،

كلما أمسكت واحدًا منها تفتت في يدي

إلى ذرات تراب...

تبين لي فيما بعد، أن الرب رسم بريش

كل هذه العصافير وجه هذا الطفل اليتيم!

ثم سرت فوجدت فلاحًا يُعمر بهذا البستان،

لكنه كان يتكلم سريعًا، سريعًا جدًا،

حتى أنه ليدمج كلمتين في كلمة واحدة!

كان يعتقد إن بإمكانه أن يوفي نذرَ كلامه السريع لأمه البكماء...

دخلت في بستان من الصمت

أبحث عن كلمة (أمي)

وجدتها تجلس في آخر البستان،

حضنتها بيدي وأكملت السير،

وحين كنت أمشي تعثرت،

فسقطت الكلمة من يدي على الأرض،

وكان رنيَنَ سقوطها "أنا معك يا بني"

وصول مكلل بلا أين

وصلت إلى السراب وعبرته،

ولم أجدكِ.

وصلت إلى اللانهاية وعبرتها،

ولم أجدكِ.

وصلت إلى الرب وبحثت خلفه،

ولم أجدكِ.

وصلت إلى كل الدروب التائهة، فلم تنطق بوجهي إلا: "أنتَ أخونا ألا تذكر؟ لقد رضعنا معًا من ثديٍ واحدٍ."

ولم أجدكِ، أين أنتِ!

لقد يئستُ من الوصول إليكِ،

وأنا خائف، خاف جدًا من أنَّ يأسي سيُبقيني جالسًا للأبد، وفراقكِ جعلني أبتكرُ السفر شِبرًا شِبرًا...

سأصلُ إليكِ، سأنذرُ عمري لِسفرٍ طويلٍ،

سأظلُ أراقب آخر بقعةٍ لمسها ضوء الشمس حين غرَبت لعلني أجدكِ...

برهان يتيم

قرر أن يأتي مع أصدقاؤه عند قبر أمه،

حين وصلوا قرب القبر،

قالوا: أنت حقًا مسكين،

أمكَ تحت التراب وأمهاتنا فوقه.

أحس بانكسار ثم قال قاصدًا أقناعهم:

أمي ليست تحت التراب،

كل ما في الأمر أنني ضعت من بعدها،

وهي الآن تتنفس التراب بحثًا عن خطواتي.

فصدقوا ما قال...

بعد دهرًا من الزمن،

رآه أحد أصدقائه يشمُ الأرض،

فقال له: لماذا تشم الأرض أيها المجنون؟

"لا شيء، أنا فقط أبحث عن شهيق أمي..."

لجوء بلون الغربة

لا وسيلة لتائه مثلي سوى اللجوء،
لم ألجأ إلى أحد يدلني سوى إلى شاعر،
يقُال أن تحت أظافرهِ أطفالًا يبكون،
ويقُال عنه أيضًا إنه يستطيع أن يقول الواقع بكلمة؛
فحين كتبَ نهرًا أمامي،
إني لم أرَ سوى ورقةً مبللة...
وحين كتبَ (حرب) لم أرَ سوى جثث
وجرحى يخرجون من الورقة...
أنا لم أطلب منه سوى أن يكتب كلمة واحدة،
كلمة واحدة فقط أستطيع من خلالها رؤية ذكرى قديمة،
أنا لا أريده أن يكتب سوى (شجرة)
حين كتبَ شجرة وربطها،
خرجت من الورقةِ شجرة بفروعها وأغصانها وثمارها المتدلية،
ثم تمددت الورقة، فابتعدنا قليلًا عنها،
ليخرج منها طفلٌ صغير يتمرجح بفرح على أحد أغصانها،
وتيقنتُ أن الشاعر فرحَ بإنجازه أكثر من هذا الطفل،
ثم قال لي: أرأيت؟
هذهِ أعمقُ كلمة قالت الواقع، أنتَ محظوظ جدًا.

انظر إلى نفسُكَ القديمة كيف تلعب بمرح!
نظرتُ إليه بصمت ثم خرجت منه...

لا وسيلة لتائه مثلي سوى أن يريد اللجوء إلى شاعر،
يستطيع أن يكتب الواقع بكلمة فحين أقول له أكتب (شجرة)
فإني أريده أن يذكر أمي التي مرت بقربها؛
لكي أرى هذه الذكرى القديمة...

هدية شاعر

أذكرُ يا أمي، حين حزنتي عليّ؛
لأنني لم أسهر معكِ ليلةً واحدة،
ولا زلت أذكر طعم ضحكتكِ في الليلة التالية
حين أهديتكِ ليلًا مربوطًا في ليل.

كتاب الحياة

لو نظرت إلى المدى البعيد،

ذلك المدى الذي ينتهي نظرك عند حدوده

لرأيت جثة طفل!

أنظر أبعد مما ترى،

ستجد حمامةً تقف بالقرب من هذه الجثة،

أنظر أبعد مما ترى

ستجد أن الحمامة طارت،

أنظر أبعد مما ترى

ستجد أن ذرات التراب التي كانت فوقها الحمامة تطايرت أيضًا،

أنظر أبعد مما ترى

ستجد أن كل ذرات التراب كانت بوصلتها تتجه نحو الأفق المنشود، الأفق الذي تريد الحمامة الوصول إليه،

أنظر أبعد مما ترى

ستجد أن ذرة واحدة كانت بوصلتها تتجه نحو هذه الجثة المسكينة،

أنظر أبعد مما ترى،

ستجد أن هذه الذرة استقرت في عيني الطفل!

تلك العين التي لا حياة فيها،

أنظر أبعد مما ترى،

ولكن ليس بإتجاه الحمامة بل بإتجاه الطفل الملقي على الأرض،

سترى أن عينيه تنزفُ سربًا من الحمام يطير خلف الحمامة نحو الأفق المنشود!

أنظر أبعد مما ترى،

ولكن هذه المرة باتجاه الحمامة التي كادت أن تصل إلى الأفق المنشود،

ستجد أن هناك رسائل وحروف أبجدية تتدلى من الحمامة، تبعثرت في السماء ، لها لون الدم ولون التي لم تصل بعد إلى الأفق المنشود (أم هذا الطفل)

الرسائل المنسية، الرسائل التي كانت تُكتب بين الطفل وأمه، الرسائل التي لم يقرأها أحد،

الرسائل التي لو جمعتها معًا، لحصدت كتابًا.

أنظر أبعد مما ترى،

ستجد أن في الصفحة الأولى من هذا الكتاب قد كُتِب:

كم هو كبير هذا الكتاب (كتاب الحياة)

وكم أوراقهُ التي أعمقُ من أن تُعد؛ مليئةً بصفحات الأيام...

في صفحة الانتظار الأول أنتِ وأنا، في الجهة الثانية من صفحة الشقاء، وكان من المُفترض أن نلتقي معًا في إحدى هذه الصفحات، لولا أن مؤلف الكتاب وضع بيننا فاصلة الموت الأبدي!

دمعة بصيغة منعطف

أذكرُ يا أمي

حين كنت أمشي في طريق مستقيم،

أذكرُ حين تعثرت فيه،

وبكيتي منعطف.

انتظار

ثمة عصافير تملكُ أجنحة،

تسير لا تطير،

قابعة خلف نافذتي،

أملها الوحيد... معجزة مرورِكِ بشارعنا؛

كي أفتحُ النافذة لأراكِ (فتطير)

يا أمل العصافير الغائب،

أين أنتِ الآن!

تعالي؛ فالعصافير كسا أجنحتها الغبار...

أبجدية الرحيل الأبدي

هناك في الظلام في آخر الطريق،

كنتِ تمشين وتمشين،

ظللت طوال عمري أنتظر مجيئكِ،

حتى أدركتُ في النهاية

أن مشيكِ ابتعادٌ لا اقتراب!

البكاء العميق

مرة، مرتين، ثلاثة،

بتناسقٍ أبدي،

تضربُ الأرض وترتد

الدموع التي بكيتها عند موتكِ...

ظمأ

تعودتكِ نهرًا،
روحي الآن غريزةُ عطش،
والسرابُ في كل مكان،
آه أيتها الأم،
خيطتُ أمواج البحار موجة موجة،
وألبستهن ثوبًا لحنجرتي،
وما زلتُ ظمآنًا!

يتيماً بعض الشيء

- لقد تغيرت يا بني.

- لا لم أتغير أيها القبطان،

- بني، أنت تبدو يائسًا مثل نطفة أخطأت

دخول الرحم،

ليس تنفسك إلا تمهيدًا لشهقة طويلة،

وما في داخلكَ ليس لحمًا ودمًا...

ما في داخلك حفرة عميقة جدًا،

وعلى حواف ذاتك يقف كل من أحبكَ بقصدٍ أو دون قصد،

بحبٍ أو بكره، بوحشية أو بلطف، بأبدية أو فناء...

تطلبُ النجدة منهم مثل إله مسجون، لا نهاية ولا بداية لأنينه،

هو هكذا ما قبل وجوده وما بعده،

يُلبي من أحبكَ النداء...

فيرمي كل على شاكلة حبه،

صخر الأفراح وأنقاض الابتهاجات الصغيرة؛

فتفرح وتبتهج في اللحظة التي تصطدم بك هذه الأشياء،

ولكنك سرعان ما تحزن؛

فبحرُ حزنك العميق بعد أن ينفتح،

سرعان ما يرجع مثلما كان...

-لا أيها القبطان، أنا أبدو يتيمًا بعض الشيء.

نسيان

منسي مثل شيء لم يفكر الله مطلقًا في خلقه،
لو خلعتم هذا الثوب الذي يرتديه الوجود،
لرأيتم آثار مخالب عميقة محفورة فيه،
تعودُ إلى الذين لا ينتظرهم أحد.

سأكون معك أينما كنت

الطفل التائه، والذي قاده التيه بعيدًا عن قريته،

ضل يركض لمسافة طويلة بخوف وحزن،

وفي كل خطوة يخطوها يلتفت إلى الوراء،

كأن رؤوس السهام التي عُجنت بغريزة القتل تلاحقه،

وبينما خطواته تتقدم للأمام

كانت دقات قلب أمه تتقدم هي أيضًا نحو الأمام،

لكأنها تود الخروج أيضًا؛ للبحث عنه!

وبينما الطفل يركض، تعثر بصخرة،

وتدحرج كعجلة نحو هاوية عميقة فاقدًا بذلك وعيه،

ولما استفاق، وجد نفسه تحت جذع شجرة جاثمة بثبات على صدره، وبجانبه شجرة، أغصانها المتفرعة والمليئة بالأوراق تتدلى من فوق رأسه...

ولا تزال الأم تبحث دون كلل أو ملل...

مر يومًا، فيومان،

مر يومًا ثالثًا حاملًا غيومًا...

أقسى ما واجهته الأم، الخوف من عدم رؤية ابنها بعد الآن...

بينما الطفل، فإن أقسى ما واجهه هو العطش!

ثلاثة أيام دون ماء، ثلاثة أيام وروحه تيبّست من العطش،

كان أمله الوحيد هي الأوراق المحملة بقطرات المطر؛

لعل قطرة ما تسقط في فمه، فتروي روحه الظمآنة.

إن الأمل لم يفارقه قط؛

فهو ينتظر نزول قطرة المطر دقيقة بعد دقيقة،

وساعة بعد ساعة، تكورت حياته في هذه النقطة وركز كل طاقته فيها،

بل لم يشأ إغماض عينيه أبدًا؛

خشية أن تسقط في مكانٍ غير فمه!

أبقى عينيه مفتوحة باتساعها وظل يراقبها باستمرار،

كان تمدد القطرة يقتل روحه ببطء شديد،

تقتلهُ قتلًا قاسيًا، فها هي تتمدد ثم توشك أن تنفصل من الورقة،

لكنها سرعان ما ترجع إلى طبيعتها الأولية،

وهكذا تيبّست حنجرته عطشًا وجفت، سار ألمَ العطش في دماءه وعروقه...وأمه...

آه... كم هي بائسة وحزينة بجلوسها تحت المطر!

العصفور الواقف بقربها يشهد على ذلك،

العصفور الذي طار حين صرخت الأم قائلة "لا تخف يا ولدي،

سأكون معك أينما كنت"

العصفور الذي أفزعه هذا الصوت الحزين والمنكسر،

والذي طار بعيدًا وبعيدًا،

لم يتوقف عن الطيران أبدًا

إلى أن حط على غصنِ الشجرة التي كان بجانبها الطفل،

ليهتز الغصن وأوراقه؛

فتسقط قطرات المطر في فم الطفل في اللحظة التي كانت روحه على عتبة باب جسده!

ما يريده شاعر يتيم

أريد أن ألتهم ضوء النجوم.
أريد أن أدرب الورد على العطر.
أريد أن أربط ليلًا مع ليلًا آخرًا.
أريد أن أكسر كل وعاء فيه أبدية.
أريد أن أعبر من فوق السراب.
أريد أن أخلق وأمحو، أمحو وأخلق.
أريد أن ألون كل التجاعيد بلون الراحة.
أريد أن أتجاوز ذاتي وأعبرها أشواطًا.
أريد أن أهدي لأعمى قلادةً من العيون.
أريد أن أغير خطة الدم.
أريد أن ألمح ما وراء الرب.
أريد أن تحفظ الرياح هيكل جسدي.
أريد أن أبصق على كل حكمة نجهلها.
أريد أن أُقبل كل من لا يعترف بالكلمة
أريد أن أجمع كل من فرقتهم الحقيقة.
أريد أن أهُندس كل فراق ليس من اختصاص توقعاتي.
أريد أن أكفر بكل الأشياء المتشابهة.
أريد أن يفيض الوقت من مفاصلي.

أريد أن أجعل الموج في جسدي يجيئ ولا يرجع.

أريد أن أصافح كل غريق بدل انتشاله.

أريد أن أنُهي كل معلم ما عدا الواقع.

أريد أن أفرش شراييني للموت.

أريد أن أعطيكِ ما أملك وما لا أملك،

فأما الذي أملك فروحي،

وأما الذي لا أملك فروحي التي لم تعد بقربكِ.

امرأة حقيقية

والمُذهل فيكِ
أنكِ جواب لكل سؤال منزوف يتدلى من عنق السماء،
ويوم إضافي خارج عمر ذلك الشخص
الذي لم تستطع كل أيامه أن تتجنب شفقة أعدائه!
لم نرد أنا والكواكب الصامتة سوى أن نحدق فيكِ؛
حتى نعرف كيف نتكلم،
وإذ كُنا نمشي نحوكِ،
غردَ طائر الخطاف قائلًا
"ليس هنالكَ شعر؛ كل ما كُتب هو محاولة لكتابة الشعر"
أكانَ يعلم أن الشعر ذاته أنتِ!
أكان يعلم أن في كل منا قصيدة، في كل منا نهايتها شعلة نار،
وأن ما كتبناه وما سنكتبه ليس إلا نهر يتسرب!
لم نصل إليكِ على الرغم من أننا كنا نمشي بأشلائنا!
وصلنا إلى قمة جبل، ورأيناكِ هناك من بعيد،
تقفين نخلة وراء غروب شمس،
نظرتِ إلينا لحظة ثم سرتي ما وراء الغروب...
رجعنا والصمت نزَ من أفواهنا،
رجعنا، ولكن أنا الكوكب الوحيد الذي آثر أن يجوم نظرتكِ،
لم أفعل بنظرتكِ سوى أنني علقتها على شجرة،

كانت دائمًا تسُقط أوراقها عمدًا على نهرًا قريبًا منها،
تلك الشجرة الواقفة قرب النهر تحملُ نظرتكِ،
إذا سقطت ثمرةٌ منها لا يحدث شيء
سوى أنها توقف تبعثر انعكاس القمر المرسوم في النهر!
أنا كوكب من الصمت، لأجلكِ أصغيت لهطول المطر،
وحولتُ صوت سقوطها إلى لهجة مفهومة أحدثكِ بها.

ما تجده في ضلع كل يتيم

أحفر في ضلع يتيم،

ستظهر لك بركة من الدموع تبكي أعين!

أحفر أعمق،

سيظهر لك طفلًا ضائعًا له

لون نهاية الخيط الذي يرفرف في السماء!

أحفر أعمق،

سيظهر لك كتاب منسي،

كتاب فيه قصص منسية،

لو قرأت كل قصة لرأيت فيها شيئًا مختلفًا،

شيئًا لا يشبه كل القصص المكتوبة ولدرجة اختلافها!

لا يمكنك أن ترى ما هو مختلف فيها،

ولكنك بالتأكيد ستدرك بغريزة اليُتم الاختلاف الكائن فيها...

سترى أن الكاتب ولا أعلم من هو،

كأنه قال في نفسه حين كتب تلك القصائد

"سأجعل القصة أمي، ثم أسرد حياتها في العنوان"

وستجد أيضًا نهاية كل قصة لم تكتمل نهايتها موجودة في هذا الكتاب.

لا تخف حين تتمشى بين صفحات الكتاب؛

لأنكَ ستلمح في الصفحة الأولى يدًا تهز مهدًا لا طفل فيه!

ولكنك بطريقة ما ستسمع الطفل يردد وهو يبكي ما يدي،

إن لم تكن في يدكِ سوى أنها يد عديمة الفائدة!
وستتعثر في الصفحة الثانية بجثة طفل،
فتهلع من الخوف ثم تحمله على كتفك
وتركض بين الصفحات باحثًا عن طبيب،
ولكن لبؤس حظك ستتعثر وأنت تركض بجثة أم،
فتحملها على كتفك الآخر ثم تكمل ركضك نحو الطبيب،
ستصادفه بعد أن تركض صفحتين أو ثلاثة، وحين تجده،
سيأخذ منك الجثتين؛ ليقوم بتشريحهما،
ولكنك قبل أن ترحل عنه ستقول له بعطفٍ فطري
"ما سبب موتهم على الرغم من أني لم أرى في جسديهما
سوى أعراض الحياة؟" فيقول لك:
"وجدت في حنجرة الطفل (كلمة) غص فيها
ووجدت أن حنجرة الأم قد تصدعت من الصمت..."
ثم تكمل طريقك حزينًا نحو الصفحة الأخيرة،
فترى طفلًا من بعيد جدًا يركضُ نحو الصفحة الأخيرة،
كأنه يريد الخروج من نهاية الكتاب،
ثم تلتفت للوراء فتجد امرأة تركضُ نحو الصفحة الأولى،
فكأنها تريد أن تعبر عنوان الكتاب وتخرج منه...
سيصيبك الحزن ربما؛
لأن ركضهم يوحي لك بافتراقهم ولكن لا تحزن؛
لأنهم كانوا وما زالوا في النهاية يلتقيان،
بعد أن يركض قبل الآن بآنين، وبعد أن تركض بعد الآن بآنين!

معجزة ضحكتكِ

بضحكتكِ فقط سأصلُ إلى السماء بالعثرات!

شفاه اليتامى

تحت زوايا الشفاه التي لم تبتسم قط

ثمة مُدن صغيرة

لن تدخلها إلا إذا كانت دمائك مختومة باليُتم،

أنا دخلت بها كثيرًا، ورأيت منها ما يكفي

لكي أشعر أنني يتيم حقيقي...

رأيت في البوابة الأولى من المدينة

امرأة تمسك في يدها خارطة الزمن،

وتمسك في يدها الأخرى طفلها.

وسمعت الطفل يقول لها: أتركِ الخارطة يا أمي

واحضنيني بكلتا يديك.

فقالت: إن تركتها يا بُني ستتيه!

ثم رأيت في البوابة الثانية

جمعٌ غفير من الناس،

يرمون أيادي كثيرة في السماء؛

لعل يدًا ما تُمسك حبل الطائرة الورقية التي أفلتها طفلًا يتيم...

حتى قال من بينهم رجل: لقد ضاع الطفل إلى الأبد،

وما من يدًا لأمه تمسك حبل طائرته...

ثم سرت فوجدت في البوابة الثالثة أنينًا حزينًا جدًا،

تتبعت صوته، فوجدت بحر مليء بالغرقى

يتوسل امرأة قائلًا لها: أرجوكِ دعي ظمئكِ يعانقني!

ثم سرت قليلًا فرأيت في البوابة الرابعة مئات من الظلال،

يصرخون بكل ما أوتي لهم من حواس،

حتى قال لهم طفل صغير: كفوا عن الأنين يا أشباهي،

لقد ماتت أمي ولن تجلس تحتكم بعد الآن!

مُدن صغيرة،

متاهات كثيرة،

تحت شِفاه اليتامى!

لقمة لم تمسسها يد أمي

في دار الأيتام،

سألوا طفل يتيم عن الطعام الذي يقدمونه

له أهو جيد أم رديء فقال:

الطعام هنا جيد، غير إني أحس

أن اللقمة التي تقدمها لي يدٌ غير يد أمي فيها طعمُ ظلام.

الرجوع إلى الماضي

كنا نرمي الأحجار على النهر أنا وأمي،

كنت مولع برمي الأحجار بعيدًا،

لم تتعب يدي من الرمي لسنوات طويلة،

كانت يدي تحملُ الآلاف من الشرايين الصوتية،

تلك الشرايين التي تزيد في يدي يومًا بعد يوم،

من صوت أمي القائل

" أحسنت يا ولدي رمية قوية جدًا"

أمي رحلت...

ويدي أصبحت ضعيفة،

ولم أعد أرمي أية حجرة على الإطلاق.

أصبحت حزينًا جدًا، ويائس، والنهر مل من وحدتي...

أريد أن أراها،

أريد أن أرجع إلى الماضي،

سأجدها، أنا متأكد من ذلك، أنا ذاهب...

سأرجع كل رمية إلى الصخرة التي جاءت منها...

سلسلة الضحايا

الناسُ ضحية الموت،

والموت ضحية الدهر،

والدهر ضحية الأبد، والأبد...

والأبد ضحية اللحظة التي قَبلتُ بها أمي.

الكف المخصص للبائسين

قبل الخلق،

قوالب من الطين، تخلو من الأرواح مصفوفة
جنب بعض صنعها الرب،
وقبلَ أن يدس فيها الأرواح،
قال للملائكة: ضعوا في كف كل قالب
من هذه القوالب
قالب طيني صغير لأم مصغرة...
بعد الخلق،
على هذهِ الأرض الواسعة ثمة بائس
هنالك، حدثت له الكثير من المصائب،
واضعًا كفه على خده كأنه بهذه الحركة ينام جنب أمه!

حلمٌ منتظر

أيها الحلم المنتظر هلم إلي،

إن كنت تخاف الواقع سأنامُ إلى الأبد،

وإن كنت تخاف رأسي

فيكفي أن تأتي في رأسٍ يكون نائمًا بجانب رأسي.

أيها الحلم،

إن أشفقت عليّ وجئت فإني أرجو أن تكون حاملًا حبيبي فيك...

أسطورة الإبرة

إن الإبرة رأت ابنها ممزق في إحدى الحروب؛
فصرخت بعمق،
ونذرت لابنها ألا تغلق فمها عن الصراخ؛
لتكون سببًا في غزلِ أكفان الذين ماتوا في الحرب...
أما ترون فمها مفتوح؟ إنها ما زالت تصرخ!

انتقاء

أنا متأكد أن الرب فكر طويلًا في انتقاء قالب طيني لكِ،

ربما يوم، ربما دهر!

لمسة الحياة

ها هي الأم تئُن أنين المُستصرخين جنب جثة ابنها،
إن الصراخ يكاد أن يُحطم أركانَ المُغتسل أثرَ دوية المُرتطم به،
وأن الأب من شدة هول الموقف اِكتفى بالصمت...
ها هو ذا متكورٌ في إحدى زوايا المُغتسل واضعًا كفه على رأسه،
لا إخوة للميت لا أخوات، كان الوحيد عندهم...
لَقد كان يمرح ويسرح أمام أعينهم صباح هذا اليوم،
فلما جن عليهم الليل كتب عليه القدر
أن يكون في عداد الأموات واضعًا
على طريقته التقليدية سبب لموته،
عرفوه الأطباء بأنه مرَض خبيث،
كان يسري في جسد ابنهم من حيث لا يشعر،
كادَ سكوت الأم عن الصراخ إذعانًا لتقبل الواقع بمرارة،
كمَن يُمني نفسه بزوال الأبدية قائلًا "هذا الوقت سيمضي"
لم يُكمل الموت مهمته؛ ها هو ذا يحدق في فريسته آملًا
ألا يكون قد نسي ذرة من الحياة فيها.
إن وقوف الموت وتحديقه ليس بأمره بل بأمر الرب؛
ذلك أن الموت لَيغفل أحيانًا عن ذرةِ حياة ملتصقة في الميت؛
ولذا أمره الرب ألا يتردد طرفة عن الميت أبدًا إلا بأمره،
مستدلًا بذلك أنه لن يرى كل شيء مثله...

رجعت الأم أدراجها بعد إذ كانت تحدقُ فيه أيما تحديق!
آملة أن تسمع ولو همسًا في أعماقه
وانزوت قابعة في عباءتها تمامًا،
عند إحدى أركان المُغتسل مقابل زوجها،
أبعد الموت ناظريه عن الميت بأمرٍ من الرب،
ومشى بخطواتٍ بطيئة، خطوات بطيئة؛
لعل الميت يشهق أو يزفر،
فيرجع الموت إليه مسرعًا سالبًا إياه الحياة
بعد إذ وهِبت له من قبل الرب جراء حزنه عليه،
لم تعد الأم تطيق جلوسها؛
لأنها بذلك تُهدر وقتًا ثمينًا في عدم رؤية ابنها للحظات.
قامت وتوجهت صوب ابنها،
فلما وصلت إليه لم تصرخ أو تبكي أو تلطم...
لم تفعل شيء سوى أنها ضلت واقفة جنبَ ابنها
مُتأملة فيه طولًا وعرضًا، رفعت يدها لتضعها على جبينه؛
كي تمسحه لأنه كما قال زوجها "هذه آخر مسحة لكِ،
فاجمعي أمومتكِ فيها وحُبكِ العظيم له
" فُتحَ باب المُغتسَل وهم الموت بالخروج،
مسحت الأم جبين ابنها مسحة لا مسحة بعدها،
ما إن وضع الموت أول خطوة له خارج المُغتسل
حتى ناداه الرب بالوقوف،

- ماذا يا رب؟ إن الابن قد مات!

- كلا لم يمت؛ ثمة فتحة على جبينه

تسربت منها الحياة إليه اذهب واغلقها.

موت في كل الاتجاهات والمخرج أمي

حين كانت الأرض مفروشة بالموت،
كانت أمي تنقلنا فردًا فردًا إلى جوفها بملعقة الحنان،
واضعة راحة يدها تحتنا؛ مخافة أن تُسقط منا أحدًا...

أركضُ نحوكِ

أركضُ نحوكِ، وليس لأقدامي في الأرضِ آثار.

أركضُ، وكأن كل سجناء القيد في قلبي أحرار.

أركضُ وكأن الروح خالطت أقدامَ أصحاب الحُسين

إذ قال لحظة النطقِ "ألا من أنصار؟"

أركضُ كأن كل العطشى في دمي

سقوا بما في الأرضِ من أنهار.

الريحُ، حين أركض، اسأليها شِبرًا شِبرًا عن جسدي،

لقد حفظته من كثرة اصطدامي بها.

أركضُ مع علمي أن الركض لن يوصلني إليكِ،

ولكنني أركض، وسأركض...

أستوحشني كل ساكن، تهرأت مفاصلي،

ولكنني أركض؛

لعلني أجدكِ جالسةً هناك، تحت قوس اللانهاية.

غربة

واقفًا أمام البلاد المفتوحة أعينها باتساعها،
وتحت جلدي أبوابًا كثيرة مقفلة،
كلما ابتعدتي عنها شبر أُضيف إليها باب آخر مقفل،
كلما اقتربتِ منها شبر انفتح باب!
هذه البلاد أتعبني رنينُ مفاتيحها الساقطة،
ولدت في أقفاص كثيرة، يا أم هذه البلاد أشفقي على هذه البلاد،
أشفقي واسكبي نظراتكِ عليها؛ حتى تنفتحُ في الأبواب،
حتى تنفتحُ في الأقفاص،
حتى يدخلها ذلك الغريب الواقف منذ سبعين دهرًا أمام هذه البلاد...

الذنب الوحيد للرب

تحملُ أمي ذنبًا يعودُ للرب،
هذا ما لاحظته من شدة التصاقي
بها طوال أيام عمري، ذنبُ التبذير؛
لقد بذر الله كثيرًا في جمالها!

نداء أبدي

تعالي،

تعالي، وخذي ما خلقته في أعماقي

هوَ يأكلني شيئًا فشيئًا، شيئًا لا زمان له ولا مكان،

ربما رحيلكِ الذي جاء بدون وداع،

ربما وجودكِ معي كفكرة لا كذات**!**

تعالي؛

ففي قلبي فجرًا تعفن، يبحثُ عن سماء يشرق بها...

تعالي؛

ففوق شفاهي تناثر صمت كل فراشات الوجود أمام تعبيري عن رحيلكِ.

تعالي؛

فروحي في كل عيون الصيادين مقرها،

في كل في كل لحظة أعيشها أرى الموت المقدر.

أنا غاضب وحزين من رحيلكِ،

أنا بدونكِ لست سوى عظم مكسور، وعينان طافحتان بالظلام.

مسكة أم

- امسكي الحبل يا أمي بقوة، لئلا ينقطع؛
- فالهواء عالٍ وأخشى فقدان طائرتي الورقية، دقائق وآتي لكِ.

وعندما دخلت المنزل لأرتدي معطفٌ أبيض

شعرت بدوار في رأسي؛ توجهت نحو باب الخروج

ولما فتحته وجدته المطبخ، سرت بخطواتٍ سريعة

ناحية باب المطبخ ولما فتحته وجدته باب غرفتي،

أوجست خيفة واتجهت مسرعًا نحو باب غرفتي،

ولما فتحته وجدته باب الخروج!

خرجت متجهًا نحو أمي، فلم أجدها،

أصابتني رجفةً وسقطت على الأرض.

نظرت إلى السماء وإذا بي أرى الشمس على مقربةً من القمر!

نهضت واتجهت خلف منزلنا ورأيت أمي،

أتيت إليها مسرعًا وأخبرتها بما جرى...

فقالت: بني لقد انجرفت الكرة الأرضية ولكن لا تخف،

ما زال حبل طائرتك في يدي لم ينجرف.

ما عجزت عنه المعجزة

كانت لديه معجزة،

إذ ما أن ينفخ في كلمة حتى تتشكل ماهيتها على الأرض،

ذات مرة نفخ في كلمة صديق فتشكلت ماهيتها إلى جدار سميك،

ونفخ في كلمة وطن فتشكلت ماهيتها إلى قلب مفتوح مكانه شاغر...

وذات مرة نفخ في كلمة أمي فجاءه صوت:

عذرًا، هذا الوجود لا يتسع لرب مثل هذا**!**

مياه تتدفق بأبدية

ذلك الجندي في الحرب
لم يكن يحمل قنينة ماء كباقي الجنود،
قال له القائد "لا تكن غبي اذهب واملأ قنينتك بالماء؛
فهناك الماء قليل، ولن يسقيك أحد حين تعطش،
إلى أين تظن نحنُ ذاهبون؟ إلى المنتزه!
بني إنها ساحة حرب أتفهم ذلك! ساحة حرب!"
إلا أن الجندي قال للقائد "لا عليكم بي"
مضوا في تقدمهم ووصلوا إلى ساحة الحرب
وكانت كما قال القائد أشبه بصحراء قاحلة،
خيم الجنود في هذا المكان لأيام وأشهر،
نفدت جميع قناني الماء التي يحملها الجنود
إلا هذا الجندي فالماء متوفر لديه بكثرة،
ولا أحد يعلم من أين يأتي به.
يأتون الجنود إليه من كل حدبٍ وصوب
ويملؤون قنانيهم بالماء،
ويذهبون إلى مراكز قتالهم مرددين "إنها معجزة"
دون أن يعلموا أن هذا الجندي
ما أن يأخذ بطرف ثيابهِ ويعصرها
حتى تتدفق المياه منها بغزارة، دون أن يعلموا أن تلك المياه

ما هي إلا قطرات الماء المتشبثة بقميصه
عندما كانت أمه ترميه خلفه كلما علمت بذهابهِ إلى الحرب...

كل شيء هو أمي

أبي هو أمي، إخوتي هم أمي،

أنا هو أمي، جميع ثيابي

هي أمي، جدران منزلنا أمي، المصحف الذي فوق الرف أمي،

حقيبتي المدرسية أمي، الأواني التي في المطبخ أمي،

الأرض أمي، الماء أمي،

الأرجوحة القابعة في حديقتنا أمي،

جميع من صافحتهم أمي هم أمي،

مدرستي أمي، النار التي لامست أطراف أصابعها

حين كانت تعُد لنا الطعام أمي، طائرتي الورقية أمي، ا

لطرقات التي مشَت بها هي أمي،

الأطعمة التي تذوقها لسانها هي أمي،

ساعتنا الجدارية أمي، كل ما في أمي هو أمي،

حبل غسيل الملابس أمي،

الإبرة التي غزلت بها ملابسنا أمي،

الهواء الذي حرك طرف عباءتها أمي،

(إن كل ما لمستْه أمي صارَ أمي)

دار

أوحت أجراس المدرسة برنينها،
أن اذهبوا إلى بيوتكم أيها الصغار،
خرجت من المدرسة بحقيبتي المُرقعة
ثقوبها بِبعض ثياب أمي...
وبينما كنت أمشي رأيتُ منزل مكتوب على بابه
"الدار للبيع" حزنت حينها وهمهمت في نفسي:
لو كنا نملك دار لما بعناه مهما كلف الأمر.
وصلت إلى بيتنا، لم يكن بيت كان خيمة...
أنزلت حقيبتي من على ظهري وبحثت فيها عن ورقة وقلم،
ناديت أمي وحين أتت طلبت منها الوقوف دون الحراك،
أخذت الورقة والتي كتبت فيها للبيع
ووضعتها على يسار أمي،
ثم مزقتها وبقى الدار.

دُمية مخبأة في جيب الأيام

كانت عندي دُمية صغيرة، خبأتها أمي في جيبها،
أردت اللعب بها فقالت: انتظر بني.
مدت يدها في جيبها وأخرجت وطن، ومدرسة،
ورغيف خبز، وبهجة، وأرواح ممزقة،
وأنجم مظلمة، و طريقًا لا نهاية فيه،
وبيت من غير نوافذ، وقوس قزح أسود اللون،
و سماء لا تمطر، وأفواه عصافير لا تعرف التغريد،
وغيمة يتيمة مطر، ونهار لا شمس فيه،
ومصحف غلافه إياك أن تقرأ، وبحر مليء بالغرقى،
وإله مسجون، وبئر عميق، ومقبرة،
و مُهرج ختم عليه حزن أبدي، وسلسلة طويلة نهايتها عنق،
وتوأمان لا يشبهان بعض،
وجميع النطف التي أخطأت دخول الرحم،
وشعلة نار باردة، ودموع تبكي أعين،
ولا شيء، وكهوف مظلمة،
و قلب مات الرب فيه، وصدى يردد آه، ودميتي!

اعتراض صغير

مُد البساط، ووضعت الملائكة الطعام،

ونادى الرب: يا أهل الجنة كلوا واشربوا هنيئًا لكم.

قامَ من بينهم طفل صغير

ومشى حاملًا بأكفه الصغيرة طبقه،

كأنه يعترض على ما قُدم له،

سأله الرب: لمَ قمت يا عزيزي؟

فأجاب: أيها الرب، إني لا أجد في طبقي شعرة لأمي...

البحث عن الروح المفقودة

عندما كانت أمي على قيد الحياة،

كنت دائمًا ما أسجد لها حبًا،

منعتني من السجود مرات عديدة، لكني لم أمتنع.

أمي ماتت، وأنا الآن حزين، حزين بعمق،

ولا أعلم أين روحها الآن؛

لذا أسجدُ كل يوم في جميع الاتجاهات...

لحة فريدة

وأنا أركضُ حافي الذات نحو العدم،

لمحتكِ

ثم أكملتُ طريقي،

أنا الآن في العدم، لا شيء إلا العدم!

مالي أرى تقلبه،

مالي أرى تحوله

شيئًا فشيئًا إلى أبدية!

خطأ وجودي

لقد نبشتُ هذا الوجود من أوله إلى آخره؛
باحثًا عن خطأٌ متمسك به،
فلم أجد خطأ فيه أفظع من موت الأم،
إذن كيف تموت والموت ليس على مقاسها!

السر القابع خلف الكف

في يوم القيامة الكل هَمهم هُم

إلا أنا كل همي الفم،

نادى المُنادي "قوموا لرب العباد" القائمون

أكفهم على قلوبهم وأنا القائم كفي على فمي،

خطوتان وأصل إلى الرب،

خطوة واحدة وأصل، ها قد وصلت...

سألني الرب: كفك؟

أيها الرب: أتذكرُ جوعي أحد الأيام

عندما أطعمتني أمي لقمة،

نعم، أنا لا زلتُ أمضغ بها!

ثقلُ جمالكِ

إلى أمي

ألقى الملائكة بصناراتهم نحو الأرض؛
ليصطادوا على الطريقة الإيمانية اسم يُزين الجنة،
فأخطأت صناراتهم كل أسماء الأرض إلا اسم واحد؛
لثقل جمال حامله،
اصطادوا فقط أول حرف وآخره،
وتركوا أوسطه (ميمًا) يُزين الأرض.

حيلة التعرف على الأم

في زمن الحروب حيث تقطع رؤوس البشر،
صرخت إحدى الأمهات:
على كل أم عند ولادتها أن تبتعد عن مولودها لبرهة؛
حتى لا يشم رائحتها،
ليحتفظ المولود بهذه الرائحة إلى أن يكبر،
فمن المُحتمل أن كل أم سيُقطع رأسها بين حينٍ وآن،
فتبقى الأجساد دون الرؤوس؛
فبذلك يتعرف المولود على أمه من رائحتها
التي احتفظ بهِا لأجل هذا اليوم
(يوم التعرف على الأم)

الوقوف الطويل جداً

لقد مل من الوقوف طوال أيام دون جلوس،
ذلك المنبوذ بين الناس،
الذي ما من مكان يجلس فيه إلا ويتبلل مكانه!
طرده الأُستاذ من الصف حين بلل مقعده بل وأفاض الصف بالمياه،
ضجر منه منظفو الشوارع حين كان يسير فوقهن
تاركًا خلفه ماءً غزيرًا، بائعي الأسواق، الأطفال،
عمال النظافة،
ومن حوله كلهم أشاروا إليه بسبابة أصبعهم قائلين له:
لا مكان لك بيننا، بكى المنبوذ، وقرر عدم السير،
أو الجلوس إلى الأبد.
ذهب إلى قبر والدته شاكيًا لها حاله، قال عند قبرها:
أماه، إن ثيابي التي قمت بغسلهن لم تنشف بعد.

شفاه متشوهة

ما من حصاة في بيتنا إلا وتفرستُ فيها
باحثًا عن ذكرياتٍ غزلناها معًا،
وهذي الشفاه لما مللتُ التحديق،
لما لم أرى سوى موقد نار كنتِ بقربه
ذات شتاء تنظرين إليه،
هذي الشفاه،
تشوهت من تقبيله.

قيمة الأشياء بدون ابتسامتكِ

في مدرسة بعيدة وفي الصف الأول الابتدائي،

صرخ المعلم بغضب:

أأنت من عائلة فلان بن فلان؟

الطالب: نعم أستاذ.

المعلم: إذن أنتَ من عائلةٍ خبيرة بالرياضيات،

إذ أن والدكَ يدرس الرياضيات وأخوتكَ أيضًا وأخواتك،

لا بل وحتى الخادمة التي تعمل عندكم أليس كذلك؟

الطالب: نعم أستاذ، هذا صحيح.

المعلم: لماذا إذن، لماذا**!** لماذا تكتب دائمًا

ناتج كل زاوية في الرياضيات صفر؟**!**

الطالب: لأن زوايا شفاه أمي لم تبتسم قط يا أستاذ...

هذا إرث رحيلكِ

لم يفعل موتكِ بي سوى أنه اقتلع كل داخلي،
أنا الآن لا داخل لي، مجرد خواء...
خواء تطوفُ به كل ريشة
سقطت من عصفور طار خائفًا،
وكل ورقة أخيرة قُلعت من وردة
أوحت أن الحبيب لن يأتي.

أنامل مقدسة

الجنة تحت أطراف أصابع أمي
المتشوهات من الطبخ الذي تعده لنا..

أبجدية الوجه الحزين

ألمحُ أمي تشع ظلامًا،

واقفة قرب النهر وانعكاس وجهها في الماء يُضيء.

الحل

أنا فقير ويتيم، ولا أملك سوى المال القليل،

يا ترى ماذا أفعل بهذا المال؟

فأنا أحتاج إلى كل شيء،

وجدت الحل!

سأشتري باقة ورد بألوانٍ مُختلفة، وأضعها على قبر أمي.

أنشودة الجرح

كل ليلة تخرجُ السكاكين من كهف جسدي المظلم نحوكِ،
تتدفق بنسغ أبدي من أظافري وخطوط يدي،
من الأجفان والسرة،
ومن خلف كل رمش مُسقطة الرمش الأصلي،
سرب من السكاكين يمشي نحوكِ بانتظام
وكل سكينة تعملُ جاهدةً ألا تتعثر؛
لا لشيء سوى لأن التعثر في الطريق إليكِ نكران للجمال.
كل سكين تنتظر واقفة عند نافذتكِ ترمي جرحًا جرحًا؛
لعلكِ تخرجين.

حوادث الموت

فراقكِ وِلد شبحًا ملتصقٌ بي،

أتحدث معه كل يوم،

وحين قلت له: ما أنت؟

قال: أنا حوادث الموت...

ولهذا أنا في موت مستمر، ودائم، ومتجدد، وأبدي...

فأنا أموت كلما أدخل إلى البيت ولا أجدكِ،

وأموت كلما أنطق باسمكِ؛

فلا يرد الصدى من هنا أو هناك "نعم بني"

وأنا أموت حين لا أرى يدًا تُغلق أزرار قميصي،

وأموت حين أتصل بكِ عن طريق الخطأ متعمدًا،

أنا أعيش هذا الموت بصيغة الحياة.

أنا لا أمل الموت تكرارًا من أجلكِ.

قصيدة بلون الاختناق

كل القصائد التي كتبها الشاعر
لأمه التي غرقت في البحر،
كتبها دون أن يتنفس!

دُعائكِ

إن كنت مبحرًا في سفينتي وسط بحر عميق وكبير،
إن تمزق شراعها كتمزق روح أرملة؛
لتمزيقها رسالتها الألف
بعد أن يئستْ من اختفاء حروف الرسالة؛
نتيجة الأمطار المالحة المصبوبة عليها
من عمق عينيها الكائن فيها انعكاس خط أسود مرسوم
بدم أحمر في الصورة المعلقة على جدار غرفتها،
إن ترنحت سفينتي ذات اليمين والشمال
كترنح يتيمًا ساكِرًا بيُتمه،
إن صفعني الموج بقوة كصفعة إله مسجون لنفسه
بعد أن نسي أين وضع مفتاح الحرية!
فما عليكِ يا أمي الحبيبة والبعيدة عني آلاف الفراسخ
سوى أن ترمي حجرة صغيرة في النهر؛
لتثور تيارات المياه من حولها،
وتصبح دائرة كبيرة بحجمِ قلبكِ،
تكبر وتكبر إلى أن تصل نحو سفينتي
مثل دعاء على هيئة شراع يدفعني إلى بر الأمان.

كيف تعرف أن الجنازة تعود لطفل أم لوالدة؟

راقب الأشجار كيف صارت بانحنائها
متساويةً تمامًا مع الأرض،
راقب السماء كيف هيَ مائلة،
راقب الأيام التي ولت
كيف أسكنتها شهوة الرجوع،
راقب الموج في قلب كل بحر
كيف يجيء ولا يرجع،
راقب خطوات كل شيء كيف ترجع مع إنها
تتقدم للأبد إلى الأمام.
من المراقبة، ستعرف أن كل شيء يتجه
وينجذب نحو هذه الجنازة التي تحملها أكتافٌ متعبة،
ربما طوعًا أو كرهًا، شيء غريب...
من المراقبة، ستعرف أن من بين كل هؤلاء الحشود من الناس
والذين يشيعون الميت، هنالك أم تمشي معهم تشيع ابنها...

حلم لا نهاية ليقظته

موتُ أمي واقع،

وأنا حلمه المخيف،

والحزين، والبائس، والمنكسر،

ولا يرعبني أكثر، سوى أن قلادة حزني ثقيلة،

أثقل من أن تتناثر كي أفز من حلمي.

لحة يتيم

ألمح في باطن عينيك قمرًا مكسورًا،
ألمحُ جسدًا من غروب،
ألمحُ قلادة من العيون الباكية،
أرجوكِ يا أمي،
اسكبي نظراتكِ علي خُذي بيدي إليكِ،
حاولت أن أقشط وجه الموت عن جلدي،
وأن أغني للرياح، للأعناق المكسورة...
ولكن لا صوت لي، لا صدى،
ها هنا في الأعماق، مقابر غطاها الغروب،
ألمحُ في باطن عينيك سراب، وأطفالًا يبكون،
ألمحُ الضياع العميق،
وأصوات تكسرت في طريقها إلى الصراخ...
أين أنتِ، أين أنا، أسألُ من؟
وكل أسئلتي جواب!
أُناجي من؟ وكل مناجاتي سراب!

محاولة

لكي أخلق عنوان للقصة التي لا عنوان لها
والتي تتدلى من تنهيدة لكِ،
يجب أن ألاحق الذي سرق العنوان،
والذي يقف الآن أمامك خائف،
ومرتبك كأنما خُلقتِ من سؤال!
لكي أفهم سر البحر الذي يغلق نفسه
فجأة فور أن تُرمى في أعماقه حجرة،
يجب أن أطرق كل الأبواب الخشبية بابًا بعد باب،
حتى تظهر لي الوردة التي دربتيها على العطر؛ لتعلمني السر.
لكي أقرأ كل القصائد التي كتبها ذلك الشاعر دون أن يتنفس...
يجب أن أمتلك سفينة؛ لأبحر بها كل البحار
محاولًا البحث عن جثة حبيبته التي غرقت في البحر،
والتي كانت قبل أن تغرق بلحظات،
تقرأ قصة تتدلى من تنهيدة ما، عنوانها "لا تخف"
لكي لا أتعثر في الوصول إليك بحفرة طويلة،
يجب أن أتتبع الرجل الذي كان يتمشى
حتى لمح يدًا تحت الأرض يظهر منها فقط أصبع السبابة،
والذي قام بسحبه فخرج نصفه،
ثم سحبه مرة أخرى فخرج ما تبقى منه

وبدأ يسحب لساعاتٍ طويلة،

والذي لم يرَ أصبع بهذا الطول من قبل!

ولقد كان يسحبه من شروق الشمس إلى غروبها،

وحين يتعب يذهب إلى بيته ويأتي إليه في النهار

حتى وصل إلى نهايته،

فعرف أنه يعود لعاشق كان فقط يشير بإصبعه إلى بيتكِ!

لكي أعوض الأيام التي لم أكن فيها معكِ،

يجب أن أصنع رمح من كل شروق بعين سجين،

وأغرزه في تلك الأيام حتى تسيل منها كل الثواني والساعات،

لكي أستطيع وضع ذرة رماد فوق ذرة رماد محاولًا صنع جبل،

يجب أن أبحث عن الرياح

التي حفظت مقاسي من كثرة اصطدامي بها

حين ركضت نحوكِ...

انتظار ما لا يأتي

يجلس وحيدًا

- ينظر إلى الليل الكئيب، وهو يجر خلفه أعناق مكسورة..

- يخيط أيامه، فيجرح يده في اليوم الذي تركتيه.

- يمشي حاملًا في قلبه آخر يوم من حياته.

- لا يلتفت إلى الوراء؛ لأنه يأس من رجوعكِ.

- يُقبل كل نار نظرتي إليها؛ لذا هو يمتلك شفاه متشوهة.

- من شدة غرقه في الحزن يؤمن أن صدف الأسماك هي أظافر الغرقى.

- أحياناً يفكر بكِ، فينسى أن يتنفس ودائمًا ما يتدارك روحه في اللحظات الأخيرة.

- يفترش الغربة، وينام فوق وسادة من السفر مرددًا لأعضاء جسده أبيات من المنفى ما قبل النوم.

- دائمًا يشعر أنه يركض على حافة مقص يوشك أن ينطبق.

- من شدة يأسه في عدم قدومكِ يزهد في الحلم الذي تأتين به في رأسه، ويرضى بحلم تأتين به في رأس يكون نائم بجانب رأسه...

- يكون حديثه معك شلال، ومع غيرك صحراء.

- يهز شجرة أيامه فلا تسقط سوى عصافير ميتة.

- في الماء حين يصرخ تنحني الطبيعة لحزنه، ويسمع صراخه كل من كان على اليابسة!

- يجلس أمام كل حكيم شاكيًا له مصائبه، وحين يقولون له: أنظر إلى من هو دونك.

يقول لهم: أنا الأخير فيهم ولا أحد دوني...

- يتعثر في الكلمة؛ فيسقط معناها على الأرض مختلطة دمائها بالتراب.

- في راحة يديه مقبرة، ووداع، ودموع مخلوقة من الغروب.

- لا معنى ولا غاية ليديه، فتراها تارة تهز مهدًا لا طفل فيه، وتارة أخرى ترسم صدى صراخه، وتارة أخرى تكتب هذه القصيدة لكِ...

يجلس وحيدًا، وينتظر مجيئك.

البحث في الظلام

أبحث في الظلام عن عيون
لا ترتدي سوى قميص الموت،
أبحث في الظلام عن قصائد لا تسمع منها إذا دنوت سوى الأنين،
أبحث في الظلام عن طفلٍ يركض حاملًا بقبضة يديه العدم،
أبحث في الظلام عن سلالة الطعنات،
أبحث في الظلام عن أسئلة تركض في غابةٍ من الليل،
أبحث في الظلام عن أصوات الجمر وهي في حنجرة الرياح،
أبحث...
ولكني لا أجد شيئًا،
أبحث في الظلام عن قُبلةٍ فوق القبر،
أبحث في الظلام عن سربٍ من الطيور تخرج من عين لا حياة فيها،
أبحث في الظلام عن كل ظل جلس تحته البؤساء،
أبحث في الظلام عن شجرة تبكي عصفورًا بعد عصفور،
أبحث...
ولكني لا أجد شيئًا!
أبحث في الظلام عن قطرة الماء التي تتسلق جمرة،
أبحث في الظلام عن تلك الوجوه التي لا ملامح لها،
أبحث في الظلام عن عطش الماء وهو يلهج اسم أحدهم،
أبحث في الظلام عن ريشةٍ في حنجرة الشجرة، تحلم أن تطير،

أبحث...

ولكني لا أجد شيئًا!

أبحث في أعماق الذي يبحث عن الظلام،

ولا أجده سوى أنه يبحث عن تلك العيون التي تقرأ هذه القصيدة؛ لكي تمحو كل الظلام الذي فيها!

تعالي،

فقد تعبت جوارحي من البحث في الظلام...

لا شيء هناك

ليس هناك ثمة شيء سوى حقل من القمح،

ليس هناك ثمة شيء سوى جثة ممتدة فوق الحقل،

ليس هناك ثمة شيء سوى يد الجثة وهي منغلقة،

ليس هناك ثمة شيء سوى حبة قمح في يد هذه الجثة،

ليس هناك ثمة شيء سوى الزمان وهو يمر شيئًا فشيئًا،

ليس هناك ثمة شيء سوى حبة القمح وهي تكافح للخروج من قبضة اليد،

ليس هناك ثمة شيء سوى كفاح طويل طواه الزمان،

ليس هناك ثمة من أمل...

ليس هناك ثمة شيء سوى المحاولة،

ليس هناك ثمة شيء سوى أن حبة القمح تأبى أن تستسلم،

ليس هناك ثمة شيء سوى أن الجثة تلاشت!

ليس هناك ثمة شيء سوى أن يد الجثة مازالت قبضة يأس في حنجرة هذه الحبة،

ليس هناك ثمة شيء سوى أن النهاية تلوح بالأفق!

ليس هناك ثمة شيء سوى أن حبة القمح خرجت!

ليس هناك شيء سوى أن الغراب الذي كان ينتظرها كل هذه المدة التهمها!

ليس هناك شيء سوى أن الغراب كان فوق قبر مهجور،

ليس هناك ثمة شيء سوى أن بجانب القبر وردة،

ليس هناك ثمة شيء سوى أن يدكِ كانت تسقيها،

ليس هناك ثمة في القصيدة شيء سوى وردة وغراب وقبر مهجور،
ليس هناك ثمة شيء أحتفظ به سوى غراب فوق قبر مهجور!
ليس هناك ثمة شيء أُهديه لكِ سوى هذه القصيدة والوردة...

ما تحت القصائد

تحت كل قصيدة كتبها شاعر هنالك بحر في كل موجة منه جثة طير ممدد.

قبل أن يكون هذا الطير جثة، كان يجلس فوق الشجرة التي كان يجلس تحتها الشاعر...

لما طار كان يحمل صورة الشاعر التي رآها في تغريدته، وحين وصل إليكِ لم يكن سوى طير حزين سقط في يدكِ، حتى أصبح في النهاية جثة مسكينة، تحمل في أعماقها آخر صورة في تغريدته التي سحبتِها منه!

تحت كل قصيدة كتبها شاعر هنالك أنين

قبل أن يكون هذا الأنين صوت، كان قبلة ثقيلة فوق القبر لم تستطع أن تحركها الرياح...

حتى فكر شاعرًا ما، يجلس تحت شجرة، أن يكتب قصيدة لكِ ويودع نفسه في تغريدة طير، تاركًا للشجرة قصيدته، واليد التي كتبتها!

حتى حملتها الرياح نحو ذلك القبر، وحركت القبلة من فوقه،

تحت كل قصيدة كتبها شاعر هنالك يد،

تمشي بين القبور باحثة عن قبلة ملوثة بالتراب، تلتقطها من التراب وتمسحها، ثم تمسكها بقوة ولا تنتظر سوى فم ينفخها لكِ!

لا أحد يمكنه أن ينفخ لكِ هذه القبلة سوى من ترك ظمئه جانبًا، وترك البحار الموجودة تحت كل قصيدة، واتجه لكِ...

أنتِ أمي وهذا يكفي

أمل

عصفور يغرد

نافذة مفتوحة

أنتِ

أستطيع أن أرى السماء تتكسرُ في عينيكِ،

أستطيع أن أرى وردةً تُحاور أنوثتكِ،

أستطيع أن أرى نجمةً تختبئ تحت أظافركِ،

خطواتكِ صلاة التائهين؛ تدلهم إلى الطريق،

المهد الذي ولدتي فيه صار الآن مهدًا للفضاء؛

لوجهكِ لون الأبدية...

مقدسةٌ أنتِ، والنور في حضرتكِ ظلام.

ما يدي إن لم تكن في يدكِ سوى أنها يدٌ عديمة الفائدة،

كل نظرة لي إليكِ تركضُ الآن وإلى الأبد في تعابير وجهك...

معًا نعبر السراب، معًا نسبق الأفق في طلوعه، معًا نحيا أو نموت،

هذه الحواس لا تكفي لأشعر بكِ حق الشعور؛ أنتِ عالمٌ محفورٌ في جبهتي، وواجبي أن أحيا فيهِ.

يمكنني أن أتخيل أيامي بدونكِ كأنها مقابر غطاها الغروب،

أنتِ أملي الوحيد، أحيا وأعيش لأجله، سأرتدي النهر ثوبًا لظمئكِ، وسأرتدي الواقع ثوبًا لأحلامكِ؛

لعلكِ الفأس الذي يحطم جليد اليأس في أيامي، ولعلكِ الفضاء الذي يكنس كل ضيقٍ في حياتي.

أنتِ اليقين الذي أؤمن به، والحلم الذي لا أريد الاستيقاظ منه.

أنتِ القمر الذي يناجي ليل أيامي، والموج الذي يلوح لكل ضفة تكدست في داخلي.

أنتِ أمي وهذا يكفي.

قوية مثل الأبد، صامدة كمنطق الأنبياء، أحيا بكِ في داخلكِ.

ليس تنفسي الآن سوى تمهيدًا لشهقةٍ طويلة، وإني أرجو أن تكوني شهقتي الأخيرة؛ حتى أضمكِ في أعماقي إلى الأبد.

هل تعلمين؟

في الأوردة التي تجري فيكِ شمس تشرق،

خلف الأماكن التي رميتي نظركِ عليها مدنٌ غائبة،

في الخطوات التي وقفتي فيها طيورٌ تحلق،

قدركِ حلمٌ كان وسيكون واقع،

قدركِ مهدًا كان وسيكون فضاءً،

قدركِ عنق كان وسيكون سكين لكل سلسلة...

أمشي في أرضٍ ترابها صفراء، ألمحُ شجرة تحمل طيورًا مخلوقةً من الصمت، كل تنهيدة خرجت منك صارت أعشاشًا لهذه الطيور!

طيورٌ فوق أجنحتها نوافذ مفتوحة، طيورٌ لا تحط إلا على بيتِ عاشق،

ألا تعلمين أن في كل التفاتة لكِ للوراء تظهرُ مدينةً غائبة؟

ألا تعلمين أن في كل خطوة وقفتي فيها حلقت طيورٌ نحو الضياع؟

ألا تعلمين أن في كل وريدٌ منكِ لم يجري شمسٌ تغرب؟

أيتها الأبدية

أيتها الأبدية،

تحملين الرياح في كفكِ، تعلمينها كيف تهب من كل الجهات.

تنحني الرياح صاغية لكِ، تجلس كتلميذ أمام خصلات شعركِ، حتى توقن أن رفرفتها درسٌ مهم عليها أن تقرأه.

سقوط أوراق الأشجار ليس عبث، هو ذا معنى ولغز،

ربما جذور هذه الأشجار تعود أسلافها إلى جذور صمودكِ! سقوطكِ ليس عبث، هو رقصة، فم ذابل قَبّل الأرض.

ما أنتِ سوى عالم من الأبواب المفتوحة، أبواب لها آفاق وأعماق، أبواب في ثقب مفتاحها نوافذ تصلي للجمال، جمال قدومكِ لكي تفتحيها...

حاولت أن أدرس جذوركِ وأن أتتبع أسلافكِ؛ علني أصل إلى الأصل،

ربما تعود أسلافك إلى ضوء القمر الراقد في المياه، أو ربما تعود إلى نقطة الماء الكائنة في أعلى كل موجة،

ولكني أظن أن أسلافكِ تعود إلى الغبار الكائن في جنح الفراشات،

أسلافكِ؟

ما يجعل الوصول إلى أسلافك مستحيل هو أن كل عضو منكِ يعود أصله إلى سلالةٍ غامضة، كيف إذن أقوى على جمعكِ واكتشاف أصلك!

تلك الأوردة التي فيكِ بعض منها يعود إلى أوتارٍ موسيقية، والبعض الآخر إلى أوتارٍ مخفية في عمق كلٍ وردة.

همساتك يعود أصلها إلى صرير أبواب السجن حين تفتح للنجاة، غضبك يعود أسلافه إلى كل ثورة أطاحت بطاغية.

أرى فيكِ ملامح كأنها خارطة الوصول إلى الأعماق الخفية، كل خطوة عزمت على الرحيل ملامحها فيكِ، كل سنبلة أبَت أن تفتح روحها للمنجل ملامحها فيكِ، وأيضًا فيكِ ملامح كل ضوء أضاء ما أبكته العيون في الظلام،

وشراع سفينةٍ قادمة من وريد ظمآن إلى وريد مرتوي،

ودمعة صحراء تائهة ألقتها فرحًا على مسافر مر بها،

فيكِ من الملامح ما يُمكن كل خلاق على ابتكار عالم في عالم في عالم من الجمال!

الأيام التي تخلو من وجودكِ

الأيام التي تخلو من وجودكِ

ليست إلا قبورًا محفورة فوق جبيني،

قبورًا لا صلاة لها سوى مناجاة الغروب.

الأيام التي تخلو من وجودك

ألف عيسى مصلوب على النخلة،

لا رسالة له سوى هداية غرابٍ أضل الطريق إلى جبيني...

الأيام... كم هي بائسة وحزينة بدونكِ،

ليست سوى أفواهٍ تنتظر سوط الانتظار يصلبها.

صليتُ للغراب التائه،

صليتُ لألف عيسى،

صليتُ للغروب،

صليتُ أن تأتي،

صليتُ وأنا كُلي قبور لزائرٍ يحملُ اسمكِ،

صليتُ ولا شيء هناك

سوى جمر على جنح الغراب،

سوى جبهة مليئة بالقبور تنزفُ أمواتًا،

سوى عيسى يركض حاملًا على أكتافه كل الطرق**!**

الأيام التي تخلو من وجودك لا ينبغي أن أعيشها،

أنا لا أفعل بها شيء سوى أنني أعلقها على حبل الغسيل؛ لكي تجف من الدموع،

وحين أنتظر جفافها لا أرى سوى كل الأسماء التي كنتِ تناديني بها تتساقط.

ماذا لو قلت لكِ: أنني أحملُ الآن اسم في قبضتي،

وأنني أختار قبرًا من قبور جبيني وأزرعه فيه؛ لعله في يوماً ما حين يناجي الغروب يلفظ اسمكِ،

فتتناثر كل القبور من جبيني إلى ورداتٍ متساقطة على الأرض.

ماهيتي

سأخبركم بماهيتي:

أنا ثقب، نعم ثقب أينما ترونَ ثقب فهذا أنا.

إن رأيتم ثقب في حائطٍ ما فهذا أنا، وإن رأيتم ثقب في قميصٌ ما فهذا أنا، تقريبًا أتواجد في كل مكان وقد قضيت سنوات عديدة في معرفة غايتي أو سبب وجودي بالذات لكنني فشلت، في الواقع فشلتَ في أماكن ونجحت في أخرى،

فعلى سبيل المثال لقد نجحت في معرفة أن موقعي فوقَ رأس الإبرة هو لصنع الثياب وفشلتَ في وجودي على جدارِ إحدى الغُرف التي يسكنها الفقراء!

والمشكلة بل قُل الأمر المحير أن بعض الفقراء يمحون تواجدي بإلصاق قطعة كبيرة من القماش علي؛ وبذلك يسببون لي الاختناق ومن ثم الموت. نعم الموت، فأنا كائن يحتاج التنفس مثلكم وقد مُت الآن في مائة حائط؛ فقط بسبب إلصاقهم الأقمشة علي!

لقد سامحتهم لأن تواجدي يزعجهم كثيرًا فكنتَ دومًا الوسيلة التي يدخل منها الهواء البارد إليهم، ويتمرضون جراء ذلك، ليس البرد فقط بل وحتى الأمطار والنمل، وخصوصًا الأعين،

نعم أعين المتلصصين على علاقاتهم السرية، فليسامحني الرب على إيذائي لهم، وليسامحهم الرب على تلويث فعلهم في قتلي، ما أردت قوله لكم ليس عن تواجدي في حائط الفقراء، بل تواجدي في مكان مثير للشفقة كُليًا، المكان عبارة عن قطعة صغيرة تتمركز الحياة عن تحرك هذه القطعة بينَ آنٍ وآن، وإن توقفها قد يؤدي إلى انتهاء كُل شيء، ولقد حظيت بتوسع دائم في هذهِ القطعة؛ ففي كُل مرة أتوسع لا بل كُل لحظة، وصاحب هذه القطعة حاول مرارًا وتكرارًا قتلي، حاول إلصاق كُل شيء في مكان تواجدي لكنه فشل...

وربما قريبًا جدًا يموت مالك القطعة؛ إذ أن توسعي الدائم سيأخذ حيزًا كبيرًا من حيز القطعة، ولقد جربتُ جميع أنواع المُلصقات عن طريق مالك القطعة، فقد جربت مُلصق الضحك، والسفر، والنوم، والكتابة، والنسيان، والتحدث مع البشر، والبوح، والصراخ، والبكاء، فضلًا عن الحب،

كُل تلك المُلصقات جربتها وقد حاولن جميعهن استئصالي عن مكان تواجدي وقتلي، فباء أمرهن بالفشل.

المُلصق الوحيد، المُلصق الذي لم أُجربهُ على الإطلاق، والذي حتمًا سيقتلني بقسوة هو الموت...

إذ أن بموت قلب اليتيم (صاحب القطعة) سأموت...

للرثاء أبدية، أعني بقية...

فهرس

صرخة أبدية ٧
الخطة البديلة ٨
حب يبتكرُ أخطاء ٩
كل شيء مائل ١٠
أنشودة الانحناء الأبدي ١١
بستانٌ من الصمت ١٢
وصول مكلل بلا أين ١٤
برهان يتيم ١٥
لجوء بلون الغربة ١٦
هدية شاعر ١٨
كتاب الحياة ١٩
دمعة بصيغة منعطف ٢١
انتظار ٢٢
أبجدية الرحيل الأبدي ٢٣
البكاء العميق ٢٤
ظمأ ٢٥
يتيمًا بعض الشيء ٢٦
نسيان ٢٧
سأكون معك أينما كنت ٢٨
ما يريده شاعر يتيم ٣٠
امرأة حقيقية ٣٢
ما تجده في ضلع كل يتيم ٣٤
معجزة ضحكتكِ ٣٦
شفاه اليتامى ٣٧
لقمة لم تمسسها يد أمي ٣٩

الرجوع إلى الماضي ٤٠
سلسلة الضحايا ٤١
الكف المخصص للبائسين ٤٢
حلمٌ منتظر ٤٣
أسطورة الإبرة ٤٤
انتقاء ٤٥
لمسة الحياة ٤٦
موت في كل الاتجاهات والمخرج أمي ٤٩
أركضُ نحوكِ ٥٠
غربة ٥١
الذنب الوحيد للرب ٥٢
نداء أبدي ٥٣
مسكة أم ٥٤
ما عجزت عنه المعجزة ٥٥
مياه تتدفق بأبدية ٥٦
كل شيء هو أمي ٥٨
دار ٥٩
دُمية مخبأة في جيب الأيام ٦٠
اعتراض صغير ٦١
البحث عن الروح المفقودة ٦٢
لمحة فريدة ٦٣
خطأ وجودي ٦٤
السر القابع خلف الكف ٦٥
ثقلُ جمالكِ ٦٦
حيلة التعرف على الأم ٦٧
الوقوف الطويل جدًا ٦٨
شفاه متشوهة ٦٩
قيمة الأشياء بدون ابتسامتكِ ٧٠

هذا إرث رحيلكِ ٧١
أنامل مقدسة ٧٢
أبجدية الوجه الحزين ٧٣
الحل ٧٤
أنشودة الجرح ٧٥
حوادث الموت ٧٦
قصيدة بلون الاختناق ٧٧
دُعائكِ ٧٨
كيف تعرف أن الجنازة تعود لطفل أم لوالدة؟ ٧٩
حلم لا نهاية ليقظته ٨٠
لمحة يتيم ٨١
محاولة ٨٢
انتظار ما لا يأتي ٨٤
البحث في الظلام ٨٦
لا شيء هناك ٨٨
ما تحت القصائد ٩٠
أنتِ أمي وهذا يكفي ٩١
هل تعلمين؟ ٩٣
أيتها الأبدية ٩٤
الأيام التي تخلو من وجودكِ ٩٦
ماهيتي ٩٨



علي أكبر جواد

يتيماً بعض الشيء

تخرجُ من المقبرةِ عصافيرٌ مشلولةٍ بالحزن

تسيرُ، ولا تطير ..

تئنُ، ولا تغرّد

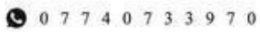
كسىٰ أجنحتها الغُبار

أيمكنـك أن تتخيـل كـم هـو مرعـب أن تـرىٰ موجًـا مـن العصافيـر تزحـفُ في الـتراب خارجـةً مـن المقـبرة، وهـيَ تئن؟!

لـم يكـن نبـعُ هـذهِ العصافيـر سـوىٰ مـن الشـجرة المغروسـةِ بعمـقٍ ،في عنـق الطفـل المنحنـي للأبـد أمـام قبر أمه!.




9 789922 958132

Lisztomania _home
lizstomaniahome@gmail.com

0 7 7 4 0 7 3 3 9 7 0

